معارك الموت و أزمة الترحمات

أبو جعفر عبد الله بن فهد الخليفي

alkulify m_alkulify alkulife

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

المواضيع الشائكة -خصوصاً المتعلقة بالموت- عادة أنا أؤجّل الكلام عنها، وقد تكلمت عن وفيات عدد من الرموز في السلفية المعاصرة ممن تُوفوا، وكانت التيارات السلفية الأخرى إما تتكلم عنهم بسوء، وإما تسكت، وإما يصرح بعضهم أنني لن أترحم على فلان، مثل: فالح الحربي، وعلي حسن الحلبي، وعبد الرحمن عبد الخالق، وفلاح إسماعيل مندكار، وغيرهم وغيرهم، وأنا أترحم على عامة هؤلاء، أنا الذي أوصف بالغلو أترحم على عامة هؤلاء، وهذا لا أقوله من باب المداهنة أو استرضاء أي طرف؛ فإنني أعرف أن الأطراف التابعة لهؤلاء لن يرضوا عني البتة ما دام هذا توجهي، ولكنه أمر أتدين به لِما ظهر عندي من أدلة في هذا السياق، ولو ظهرت عندي أدلة أخرى لتكلمت بخلاف ما أنا عليه الآن.

وأعلم جيداً أن هناك من يفتري علي غير هذا، كما افترى علي بعضهم أنني أجيز طلب الدعاء من الميت، وهذه الفرية جاءتني في رمضان الماضي أو قبله ثم بعد ذلك وجدت من يكررها، وهذا عدم ضبط لمقالات الناس، وهذه عادة في الناس إذا كان لهم خصم وخصوصاً [إذا كان] يُرمى بالغلو، حتى جاءني أحدهم وقال: «يقولون إنك تكفر شيخ الإسلام ابن تيمية» وفرًى كثيرة، لكن دعنا من هذا.

المفارقة التي سجلتها منذ زمن والآن مع وفاة الشيخ الحويني، وقد كتبتُ أمراً

تحدثت فيه عن وفاته، وفي الحقيقة وجدت نفسي في بداية الأمر—أنا أسمعه منذ زمن طويل -للمعلومية- وأحب أن أسمعه، وجاء هنا للكويت وحضرت وكتبتُ له مجموعة من الأسئلة، وكنت قد داومت لمدة أربع وعشرين ساعة (يعني لم أنم لمدة أربع وعشرين ساعة)، فلما جاءت محاضرته عملوا جدولاً والجدول هذا كان -سبحان الله- جميلاً جداً، فقلت: سأحضر الدروس كلها، بعدئذٍ مرض فما كان أي جدول.

وكان له محاضرة، وأنا خطي سيئ إذا كتبت فطلبت من أحد الإخوة وقلت له: «لو سمحت» وهو في مسجد سالم العلي دائماً يجلس في مكتبته «لو سمحت، اكتب أسئلتي له بخطك الجميل هذا» فكتب، ويبدو أنه لا أحد [كان] يسأل غيري، وبسبب أسئلتي كدّرت على الناس حديثه، فهو -تعرف- له حديث جميل ومتسلسل، وله طريقة عجيبة، أنا [كنت] سأنام.. والله سأنام، فسمعته يقول: «روى كذا في "تاريخ دارية"» والله سمعت "تاريخ دارية" فراح النوم من عيني؛ لأني أنا دائماً الكتب العجيبة هذه التي فيها آثار والتي [هي] غير مطروقة وفيها آثار عجيبة من أخبار السلف؛ هذه تأخذ بلبي! والله طار النوم من عيني! قال: «تاريخ دارية» [فقلت لنفسي:]: أيش هذا الكتاب؟ أين هو؟ طيب أجرده لأستخرج فوائده؟ فكانت القصة هكذا.

وسبحان الله! لما رأى الأسئلة قال: «يبدو أن الإخوة طُلاب علم يريدون الأسئلة» وهي كلها أسئلتي أنا «فنترك الحديث» [وقد] كان يتحدث عن قصته مع الألباني.

وهو كان -سبحان الله!- فيه ظُرف شديد، حتى إنه كان يأتي الكويت فمنذ زمن قال له طلاب العلم: «أنت في نقاشك مع الألباني»—طبعاً الألباني في زماننا كنا نعتبره وحش المناظرات؛ أي إنسان يدخل نقاشاً مع الألباني... نقيس يعني، والألباني له اختيارات خاصة وأقوال انفرد بها من دون الجميع، فكان يُناقش فيها ويُكثَر نقاشه فيها، حتى أذكر اللقاء الذي يذكره عائض القرني: كان عائض القرني يرمي له [مسائل] كل مسألة تحتاج إلى ساعة من الكلام، ويقول له: «يا شيخ، عجل وبسرعة» وكذا، فسبحان الله!

فالشاهد أنهم قالوا له: «في نقاشك مع الألباني أنت لم تصمد أمام الألباني خمس دقائق»، فهو قال: «خمس دقايق؟ خمس دقايق دول كتير! دا الي يوقف قدام الألباني خمس دقايق يطلع يعمل كده» وعمل حركة مثل حركة لاعبي الكرة إذا سجلوا هدفاً، قال: «يطلع يعمل كده» رأيت كيف لاعب الكرة يشير بيده إذا سجل هدفاً؟ هو أشار هكذا، قال: «يطلع يعمل كده، ده الألباني!»، فسبحان الله!

واستفدت منه فائدة جميلة لما كان يرد على جماعة النقاب وكذا فرددت له [الجميل]، وذكرت شيئاً من أحوال المحدثين لأنه كان دائماً [كلفاً بهم]، فكتبت مثل التأبين وكذا، ولم أجد نفسي متأثراً جداً، على كثرة كلام الناس، علماً أن الرجل أنا أسمعه منذ زمن، وأي إنسان يطلب الحديث يحب أن يسمع لهذا الرجل أيّاً كان توجهه؛ لأنه يطربك إذا تحدث عن أهل الحديث، وكأنه نذير قوم إذا تحدث عن حرس الحدود وكذا.. كأنه نذير قوم [يقول:] صبّحكم ومسّاكم!

لكن صدقاً، أمسِ فقط رأيت له صورة أيام محاضرات السنة والبدعة، لما كان يقول: «نريد إذلال أهل البدعة» (أنا أذكر أنه كان يقول هذا الكلمة) فكأنه الآن جاءني خبر وفاته.. سبحان الله! وجدت نفسي فعلاً تأثرت وأخذتني العبرة.

فهذا الرجل هو أشهر الذين تُوفوا العام [الجاري]، وأنا سجلت عدة صوتيات في موضوع "أزمة الترحمات"[(١)]، [وكنت] دائماً أقول إذا مات إنسان مشهور فبعض الناس يستغلون وفاته لِمَ؟ لكي يقرروا الأمور التي يتوافقون بها معه، ويذموا المخالفين حتى لو لم يبدأهم المخالفون بشيء، ومنهم من يهاجم هذا الشخص ومنهم من يسكت؛ يقول: «هذا الرجل مات فخلاص نحن نسكت.. بما أنه توفي فنسكت»... فصرت أنا أسمي هذه "معارك الموت".. "معارك الموت"! وتثار مسائل علمية في هذا السياق، فتضطر أنت أحياناً أن تشرح للناس هذه المسائل العلمية؛ لأن الناس يسألونك عنها وما كانوا يعرفون عنها شيئاً.

توفي شخص فاكتشفنا مثلاً أنه يُؤخذ عليه أنه يجيز الأمر الفلاني، فالناس لا يدرون، [هم] فقط يحبونه، فبعدها يأتي الناس يسألونك: «ما حكم الموضوع الفلاني، ما...»، يعني الآن مثل قصة التأذي هذه؛ أشاعرة جاءُوا بكلام لعثمان الخميس يقول: «الله يتأذى، ولا يصيبه الضرر» وهذه [الحركة] كانوا منذ زمن عملوها على ابن عثيمين شيخ عثمان الخميس، فجاء بعضهم بنَفَس انتقامي وبدأ يقول: «انظروا عثمان الخميس أيش يقول وأيش يقول...!» فجاء أناس ليدافعوا،

(١) أزمة الترحمات – حقاً أريد أن أفهم (أزمة الترحمات من جديد) – بين وصف (أشعري) ووصف (خارجي) في أزمة الترحمات.

قالوا: «يا جماعة الخير، هذا ابن تيمية وابن القيم ذكرا الأمر نفسه وكذا» -«لا لكنه يقتضي كذا ويقتضي...» فبدءُوا يدافعون—وعندنا حديث: «لا أحد أصبر على الأذى من الله»[(١)]، والأذى ليس معناه أنه يصيبه الضر أو يصيبه النقص، لا، الأذى أنه يسمع ما يكره ﷻ ولا أحد يصبر [عليه مثله].

فالمسألة صرنا نُسأل عنها كثيراً، والقصة بدأت من أيش؟ بدأت من إنسان أشعري عمل شيئاً في حق عثمان الخميس، شخص بينه وبين عثمان الخميس ثأر في قضية أخرى فأتى بهذه [المسألة] فانتشرت، فالناس بسرعة تغرق، فتضطر أنك أيش؟ أنك تبدأ تجيب، ورمضان فيه زحمة أسئلة، أنا مرة من المغرب إلى الساعة الثانية عشر عددت الأسئلة في التلغرام التي أجبت عنها [فوجدتها] أكثر من مئة سؤال! ففيه زحمة [أسئلة] وتبدأ تتكرر، وتجد في هذه الأوقات الفاضلة أناساً [ينشغلون] بمسألة جدلية، فمرات يسألك بعض الناس...

أنا الآن -مع الأسف الشديد- سأخرج عن سمت الشهر، وإن كان فيه مجموعة من الدروس، وفيه دروس لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما عملتها، لكن أود الحديث في هذا الموضوع لتوضيح أمور، وهذه الصوتية الذي ما سمع سلسلتي "مراجعات ومناصحات" لا أظنه سيفهم طريقتي فيها...

اسمع: أنا الإشكالية التي سجلتها في أزمة الترحمات أنه يا جماعة الخير، أنتم كلكم تترحمون على الأشاعرة -«إي، وما بهم الأشاعرة؟!» -الأشاعرة عندهم بدع

(١) البخاري (٧٣٧٨)، ومسلم (٢٨٠٤).

مفسقة وبدع مكفرة، وحين أقول بدعة مكفرة يعني أشد من بدعة الخوارج، ويعني أشد من بدعة المرجئة، ويعني... فما بالك بأخطاء إنسان سلفي قد يوافق الخوارج في مسألة، وقد يوافق المرجئة في مسألة، وقد يوافق كذا في مسألة.. لكن حين نقول «أشاعرة» فليس معناه إنسان زل زلة، لا، معناه عنده منهج! إنسان دائماً يؤول الصفات ودائماً يفوض ودائماً كذا، فأنت حين [تريد أن] تترحم [اعلم أن] الأشعري أبعد.. أبعد!

بل حين نقول «أشاعرة» يعني «ورثة الجهمية» باختصار شديد، من قال إن قولهم في العلو شر من قول الخوارج والقدرية والمرجئة؟ ابن تيمية[(١)]! وقبله قال أهل العلم؛ ابن المبارك قال: الجهمية ليسوا من الثلاثة والسبعين فرقة[(٢)]، والجهمية اسم جامع فكل منكرٍ للعلو يقال عنه جهمي، من قال هذا؟ يزيد بن هارون، قال: «من لم يُقرَّ أن الرحمن على العرش استوى كما يَقرُّ في قلوب العامة فهو جهمي»[(٣)].. بلا نقاش!

---

(١) قال في "بيان تلبيس الجهمية" [٣/٤٢٤]: «... ولا يقدر أحد أن ينقل عن أحد من سلف الأمة وأئمتها في القرون الثلاثة حرفًا واحدًا يخالف ذلك؛ لم يقولوا شيئًا من عبارات النافية: إن الله ليس في السماء، والله ليس فوق العرش، ولا أنه داخل العالم ولا خارجه، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنه في كل مكان، أو أنه ليس في مكان، أو أنه لا تجوز الإشارة إليه، ولا نحو ذلك من العبارات التي تطلقها النفاة بأن يكون فوق العرش: لا نصاً ولا ظاهراً؛ بل هم مطبقون متفقون على أنه نفسه فوق العرش، وعلى ذم من ينكر ذلك بأعظم مما يُذم به غيره من أهل البدع مثل القدرية والخوارج والروافض ونحوهم».

(٢) قال حفص بن حُميد: قلت لعبد الله بن المبارك: على كم افترقت هذه الأمة؟ فقال: «الأصل أربع فرق: هم الشيعة، والحرورية والقدرية والمرجئة؛ فافترقت الشيعة على ثنتين وعشرين فرقة، وافترقت الحرورية على إحدى وعشرين فرقة، وافترقت القدرية على ست عشرة فرقة، وافترقت المرجئة على ثلاث عشرة فرقة» قال: قلت: يا عبد الرحمن، لم أسمعك تذكر الجهمية! قال: «إنما سألتني عن فرق المسلمين» الإبانة الكبرى لابن بطة [١/٣٧٩] برقم (٢٧٨).

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد [١/١٢٣] برقم (٥٤).

ومحمد بن يوسف روى عنه البخاري في "خلق أفعال العباد"[١]، قال: «فهو كافر»! فهو أيش؟ «فهو كافر».. خلاص، لا نقاش.

فالشاهد أنك أنت حتى لو لم تكفره عيناً فبالنهاية هو واقع في بدعة مكفرة، هو واقع في مصيبة! [بعضهم] يقول لك: «لكن هؤلاء علماء»—إي طيب، يعني نحن سنبدع أو نكفر الجهال؟! العالم هو الذي مصيبته مصيبة؛ فهو العالم! -«لكن يا أخي، ربما هو لا يدري، يا أخي...» -نحن نقرأ في القرآن ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤]، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝١٦٦﴾ [البقرة: ١٦٦]، «من دعا إلى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من **تبعه** عليها»[٢]، فالأصول والفروع كلهم مذمومون، ومعظم البشر أتباع فالرؤوس معدودون، ومع ذلك القرآن هُدى للعالمين، رحمة للعالمين، كذا.. فلا بد من درجة من درجات الذم.

بل تجد [بعضهم] يترحم حتى على القبوري! يترحم على السبكي، يترحم—يعني دعنا من موضوع الأشعرية، [نتحدث عن] القبورية! فتجده يترحم على صاحب الخرقة، وتجده يترحم على الذي يقول: «أبوا النبي ناجيان» ويعرّض بتكفير من [يقول

---

(١) قال محمد بن يوسف: «من قال إن الله ليس على عرشه فهو كافر، ومن زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر». وقيل لمحمد بن يوسف: «أدركتَ الناس، فهل سمعت أحداً يقول: القرآن مخلوق؟ فقال: الشيطان يكلم بهذا، من يكلم بهذا فهو جهمي، والجهمي كافر» خلق أفعال العباد للبخاري [ص٣٧].

(٢) مسلم (٢٦٧٤).

إنهما في النار]... إلى غير ذلك، يترحمون على أناس مخالفين لهم في عموم الأبواب: في القدر، في الإيمان، في البدعة الحسنة، في كذا، في كذا... يترحمون عليهم!

وهذه حقيقةً تراها في كل الأطراف، يعني أنا قلت منذ توفي القرضاوي: لو توفي ربيع المدخلي فلن يترحموا عليه، بل سيسبونه ويلعنونه! والآن ربما [يظهرون] أنهم متفاجئون بطريقة [معاملة] الآخرين لشيخهم، والواقع أن القصة متقاربة من الجهتين، إلا أن نرى منهم شيئاً آخر (وإن شاء الله نرى منهم شيئاً آخر).

فالقصة وما فيها: أنت عندك أحد حلين:

١) إما أن تكون شديداً وقوياً مع المخالف لك في الأسماء والصفات وفي الإيمان وفي القدر وفي كل شيء، وأيضاً شديداً مع الإنسان المنتسب للسلفية والذي يوافقك في كل هذه الأمور، ووجدت عنده أخطاء في مسائل معينة وخالفك في قضايا معينة؛

٢) وإما ما لنت مع ذاك تلين مع هذا.

طبعاً هم ماذا يفعلون؟ يفلسفون الأمر، فيقولون على سبيل المثال هذه العبارات وهذه الكلمات: «يا شيخ، هؤلاء علماء وهذا جاهل» -لا يا طيب، هذا ربما أعلم منهم بالحديث، حتى إن أحدهم كتب فقال: «والله لو أُغلقت عليه مكتبته لتفوق على شيخه الألباني»، وواحد ثانٍ قال: «هو على منهج شيخه الألباني» وهؤلاء ما قرءُوا له؛ هؤلاء لم يقرءُوا "نثل النبال" (كلامه في الرجال الذي جُمع في أربع مجلدات) ولم يقرءُوا "المعجم المفهرس" ولم يقرءُوا... (هو نشيط جداً وكانت له

كتابات)، فالذي يقرأ "النافلة" أو يقرأ كذا يجد الرجل لا يقلد الألباني؛ بل خالف الألباني كثيراً -وإن كان ربما بينهما فعلاً توافق في المنهج إجمالاً- خالف الألباني كثيراً في الفروع وفي الأصول، وفي عامة مخالفاته للألباني الحق معه.. الحق معه! بل الألباني أشار إليه في الصحيحة[١]، قال: «نبهني أخونا أبو إسحاق إلى الموضوع الفلاني»—فالحق معه؛ لأنني أنا اشتغلت على [كل من] صحيح الجامع وعلى الصحيحة، فكنت كلما خالفت الألباني أبحث ماذا قال المحدثون المعاصرون، ماذا قال المشتغلون بالحديث المعاصرون؛ لأن الناس يقولون لك: «من أنت حتى تخالف الألباني؟!»، فصرنا نبحث عن أي إنسان يوافقنا، فكنت أجده في كثير من الأحيان والله [يوافقني]، ولما ظهر الناس الأقوياء في العلل في مصر مثل طارق عوض الله وغيره، والذين كانوا ينتقدون الألباني منهجياً؛ الحويني لم يفتعل معهم مشاكَل، بل بالعكس؛ يبدو -والله أعلم- أنه استفاد منهم.

وهو نفسه كان من فضائله أنه تراجع عن كلمته: «ما هكذا تُعلَّل الأحاديث يا ابن المديني» وإن كان كتاب "تنبيه الهاجد" إلى الآن في قلبي منه غُصّة لكن الله المستعان—«ما هكذا تُعلل الأحاديث يا ابن المديني» هذه الكلمة هو قالها ثم تراجع وقال: «والله أنا ما أدري كيف كان وضعي في صغر سني حتى أكتب هذا الكلام» وإلى آخره.

بل بالعكس: أنت في الزمن القديم كل العوامل—إذا أنت قلت إن هذا رجل

(١) ينظر: السلسلة الصحيحة: [٢/٧٢٠]، [٥/٥٨٦]، [٧/٧٤٥]، [٧/٩٣٨]، [٧/١٦٧٧].

عالم فعِلمه بالكتاب والسنة ينبغي أن يبعده عن البدع المغلَّظة، وهؤلاء كانوا يعيشون في أزمنة معهم علماء، لم يكونوا يعيشون في كهوف أو في أماكن لا يوجد فيها إلا الأشاعرة كما يصور بعض الناس؛ الأمر ليس كذلك وهذا ليس حقيقياً!

والعجيب أنهم في زماننا منهم من يعذر بالجهل في الشرك الأكبر.. في الشرك الأكبر! في دعاء غير الله! ويقول لك: «الجهل انتشر»، طيب يا أخي إذا الجهل انتشر في الشرك ألا ينتشر في الأخطاء والبدع والضلالات؟! وعلى العموم، نحن نتعاطى مع تراث، نتعامل مع تراث.

فهذه هي الإشكالية -الله يبارك فيكم- بل الأمر ليس كذلك [فحسب] ولا يقف عند هذا، فحتى موضوع الاستفادة: ترى كثيراً من التيارات المتنازعة لا يحيل أحدهم على الآخر مع أن بحث الآخر أقرب له وأطيب، وأحياناً يكون فيه فائدة علمية ثقيلة! طيب لماذا لا تعترف لأخيك بفائدة (حتى لو خالفته وحتى لو تعتقد أنه مبتدع)؟! ألستم تأتون بكلام أحياناً من عند الزمخشري، وأحياناً من عند الجاحظ، وأحياناً من عند ابن حجر الهيتمي، وأحياناً من السبكي... وهؤلاء ليسوا من أهل السنة؟! بل أحياناً تُحقَّق كتب تقي الدين الحصني، وأحياناً تحقق كذا... وهؤلاء ليسوا على اعتقادنا!

ومن الأمور العجيبة في الحويني أن الشيخ مقبلاً الوادعي -وهو رجل أيضاً كان له ثقله في اليمن- كان يبدع الحويني، يقول: «أبو إسحاق مبتدع»، وهنا في

الكويت سألوا [الحويني] عن كتب ينصح بها في المصطلح فنصح بكتاب للوادعي! وأكيد هو قد وصله الكلام لكن نصح بكتاب [له]، فحقيقة هذا الأمر أعجبني إلى حد ما.

حتى أنا دائماً أقول إن كثيراً من الناس من كثرة ما فيهم من تميع صاروا يخلطون بين الإنصاف والتميع، فصار عندهم أي أنصاف للطرف الآخر يعني تميعاً؛ لأن بعض الناس صار عندهم أن ذِكر خير في إنسان فهذا معناه أنه معصوم، أو لا يجوز القدح فيه بأي صورة من الصور!

ولهذا كثير ممن يزعمون أنهم يردون على الغلاة والخوارج و... هم على منهج إرجائي، بمعنى أنه إذا مُدح الإنسان بشيء أو كانت له فضائل فهذا لا يعني أن له أخطاء أو رذائل أو أموراً ينبغي الانتباه إليها! مع أنه يقال: «يهدم الدين ثلاثة: زلة عالم...»[(١)]، فالعالم طبيعي أن يزل (هذا العالم الفاضل فما بالك بغيره)! بل هم تجد منهم تيارات تعرف زلات علماء؛ يعرفون أن هذا يقول كذا وكذا في تحكيم القوانين، وهذا يقول كذا وكذا بالموضوع الفلاني، وهذا يقول كذا وكذا...

هذا أمر أنا عقلته منذ كنت أرد على عدنان إبراهيم؛ كنت لما أرد على إنسان لا أركز فقط على الجانب الخطأ عنده إذا أردت أن أنقذ الناس، [بل] إذا رأيت إنساناً يسحر الناس ويعجبهم أبدأ أنظر: هذا سحر الناس ليش؟ هل هو سحر الناس لخلل في هؤلاء الناس؟ يعني مثلاً كثير من الناس يتابعون شحرور وكيالي وعدنان

(١) الدارمي (٢٢٠).

إبراهيم و... لِمَ؟ لأنهم هم يريدون ديناً يوافق القيم الغربية، وكثير منهم منافق في نفسه! فبعضهم لا يؤمن بالله ورسوله لكن لا يريد الاستغناء عن الدين، وبعضهم يؤمن ولكنه إيمان لا ينفعه في شيء (إيمان مشروط).. هذا شيء موجود! فأنت تفهم أنه أحياناً الخلل ليس من هذا الداعية، فهو لم يتابع هذا الداعية لأن هذا الداعية أضله وهو قلبه نظيف تماماً.. لا، هو فيه إشكالية (وأحياناً لا).

وهذا أمر كان يذكره ابن تيمية أحياناً في سياق التحليل فيُفهم أنه مدح مطلق، أحياناً -وهذا ذكره ابن تيمية في "نقض المنطق"[(١)]- تكون للإنسان مقامات جيدة في نصرة السنة، مقامات عظيمة، مثلاً إنسان وقف قدام الرافضة -وهو متكلم أو أشعري—وقف قدام الرافضة وقال كلام أهل الحديث، الآن ابن حزم مثلاً تجده يقف أمام أهل الرأي على سبيل المثال وينصر الحديث ويأتي بكلام أحمد وإسحاق والشافعي وكذا ويرد، فتجد بعض الناس مفتونين به، لِمَ؟ لأنه نصر السنة هنا فأعجبهم ذلك، وقد لا ينتبهون لأموره الأخرى.

وقد نبه السجزي في رسالته في "الرد على من ينكر الحرف والصوت" أن العالم قد يثني على صاحب الباطل وهو لا يعرفه؛ إحساناً للظن به، وذكر أن ابن أبي زيد القيرواني أثنى على أبي الحسن الأشعري، فقال: لو ترجع إلى عقيدة ابن أبي زيد فستجدها على غير عقيدة الأشعري، لكن يقول لك ربما اغتر به لداعٍ؛ وجده يرد على المعتزلة ورأى عباراته بالجملة ظاهرها شيء سني[(٢)].

(١) الانتصار لأهل الأثر المطبوع باسم «نقض المنطق» لابن تيمية [٢٨/١-٣١].

(٢) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت [ص٣٤٧-٣٥٣].

اليوم أحد الإخوة أتاني بكلام لابن القيم يقول عن الداني إنه سني، والداني كُلابي (الذي يقرأ عقيدته [يعرف ذلك])! لكن الكلابي تجد له عبارات كثيرة تقول [بسببها]: «خلاص، هذا حنبلي!» إن لم تنتبه لعباراته الأخرى، وفي زماننا اغتر به محمد بن سعيد القحطاني لما حقق رسالته فقال: «سلفي»، فرد عليه بعض الناس وقال: «لا، لا، لو تدقق تجد الرجل كلابياً»، وهذا تراه يحصل، فالأشعري الخالص مثل النووي وغيره لا يشتبه على أحد، لكن شخص كلابي أو شخص سالمي هؤلاء قد يقع في كلامهم الاشتباه.

وهذا نبه عليه حتى رجل اسمه عبد العزيز العيدان في رسالة له عن التفويض، قال إن سالمية الحنابلة هؤلاء قد يشتبه حالهم على كثير من أهل السنة، مثلما اشتبه جزء الحروف والأصوات على جماعة من المشيخة، وقالوا: «هذا عقيدته سلفية» وهو عقيدته سالمية، ليش؟ لأنه تكون له عبارات مشتبهة فهذه العبارات المشتبهة يحملونها على معانٍ صحيحة، ويجدون له عبارات صريحة، مثل قصة ابن العطار لما اشتبه حاله على من اشتبه، لكن بعد البيان ما عاد يصلح، إن أحدٌ شرح لك وبيّن لك فما يصلح أن تبقى مغتراً، تمام؟ فابن تيمية ذكر هذا، وهذا تبعته في "مراجعات ومناصحات".

فأيش الفائدة من هذا الموضوع؟ الفائدة أنك تفهّم الناس إذا جئت تنتقد [الشخص] في أمر؛ أني أنا لا توجد عندي مشكلة مع الموضوع الفلاني والفلاني والفلاني مما دعا إليه من نصرة السنة والحديث (بل بالعكس).. هذه مسألة مهمة جداً!

حتى إنه أحياناً يصطف معك لبرالي أو مريض أو—فأنت مثلاً تنتقد رجلاً معاصراً على منهجيته في التصحيح والتضعيف، ولنقل الألباني، وتنتقده في بعض القضايا، فمرات يصطف معك الصوفي، وهذا رأيته عند بعض الإخوة (بل وبعض الإخوة المقربين) فلقيته يمشي هو والصوفية جنباً إلى جنب! وبعضهم مع الحنابلة الجدد، وبعضهم مع الرافضي، وبعضهم مع كذا... هو مشكلته أيش مع الألباني؟ مشكلته مختلفة، لكنه فرح بنقدك ويريد أن يدخل أموراً أخرى.. هذه نقطة.

النقطة الثانية: أنت أدرك: هذا مدحه لشيء صواب أم لشيء خطأ، فمثلما قلت لك: جمهور عدنان إبراهيم، جمهور الكيالي، جمهور كذا.. هؤلاء مشكلتهم أنهم يريدون شيئاً سيئاً من هذا الرجل، لا يريدون الشيء الصواب، ولهذا بعض الشخصيات المركبة تجد بعض الناس يمدحها بشيء ويذمها بشيء، بل -بالعكس- تجد بعض الشخصيات المركبة بعض من يمدحه ويضع صورته وكذا هو يذم بعض منهجه!

مرة أحدهم أيام اعتقال الدكتور سفر الحوالي قال: سفر الحوالي وكذا وأثنى عليه، ليش؟ لأنه معتقل وتكلم وكذا، ثم ماذا قال؟ قال: «وإن كان كلامه في أمور لا أوافقه فيها، مثل كلامه في الأشاعرة» مع أن هذا أحسن شيء فعله سفر الحوالي -هذا في ما أزعم أنا بنفسي—أحسن شيء فعله هذا الموضوع؛ أنه عمل نقلة نوعية حتى بين المشايخ في إدراك وفهم الخلاف السلفي الأشعري!

ربما كثير من الشباب لا يعرف الدرجات التي مرت بها الحالة العلمية.. لا

يعرفها، فلأنه لا يعرفها حين نقول له: شخص عمل نقلة أو فلان فعل؛ هو لا يفهم، يقول: «لا، أنا جئت فلقيت الناس كلَّهم يفهمون»، لكن أنت لو جئت من قبل لعرفت فضل زيد وعمر وبكر.

طيب، فتستفيد هذا في المعالجة، ثم بعد ذلك تبدأ أنت تناقشه أين الخطأ:

١) لا بد أن تتحقق من المقالة؛

٢) تنقدها؛

٣) (وهذا أصعب شيء) تقدّر مكمن الخطأ وحجمه.

بعض الناس ذكروا قصة ابن تيمية لما جاءه ابن القيم وبشره بموت بعض أعدائه، فابن تيمية غضب وقال له: لا تفعل هذا الأمر[١]... ابن تيمية نفسه أيضاً لا يرى الترحم على أهل البدع المعلنة، هذا في اختياراته وفي الفتاوى[٢]، يقول: ترحم

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (ط. عطاءات العلم) [٩٥/٣].

(٢) قال في "الفتاوى الكبرى" [٢٢/٣]: «ومن كان مبتدعاً ظاهر البدعة وجب الإنكار عليه، ومن الإنكار المشروع أن يُهجر حتى يتوب، ومن الهجر امتناع أهل الدين من الصلاة عليه لينزجر من يتشبه بطريقته ويدعو إليه، وقد أمر بمثل هذا مالك بن أنس وأحمد بن حنبل وغيرهما من الأئمة، والله أعلم».

وقال في "مجموع الفتاوى" [٢٨٦/٢٤]: «وأما من كان مظهراً للفسق مع ما فيه من الإيمان كأهل الكبائر؛ فهؤلاء لا بد أن يصلي عليهم بعض المسلمين، ومن امتنع من الصلاة على أحدهم زجراً لأمثاله عن مثل ما فعله، كما امتنع النبي ﷺ عن الصلاة على قاتل نفسه وعلى الغال وعلى المدين الذي لا وفاء له، وكما كان كثير من السلف يمتنعون من الصلاة على أهل البدع—كان عمله بهذه السنة حسناً. (وقد قال لجندب بن عبد الله البجلي ابنه: إني لم أنم البارحة بشماً، فقال: أما إنك لو مت لم أصل عليك)، كأنه يقول: قتلت نفسك بكثرة الأكل. وهذا من جنس هجر المظهرين للكبائر حتى يتوبوا، فإذا كان في ذلك مثل هذه المصلحة الراجحة كان ذلك حسناً، ومن صلى على أحدهم يرجو له رحمة الله ولم يكن في امتناعه مصلحة راجحة كان ذلك حسناً، ولو امتنع في الظاهر ودعا له في الباطن ليجمع بين المصلحتين كان تحصيل المصلحتين أولى من تفويت إحداهما. وكل من لم يُعلم منه النفاق وهو مسلم يجوز الاستغفار له والصلاة عليه بل يُشرع ذلك ويُؤمر به...».

في سرك على أهل البدع (الذين يراهم أهل بدع)!

نحن الآن في سياق التيارات الحركية، التناقض لا يقع فقط في سياق أنني أتهاون مع الأشعري وأشتد على المنتسب للسلفية، وكثير من الشباب يفهم الاعتقاد الصحيح باباً لإسقاط الناس فحسب، يعني إنسان رأيته مخطئاً في الموضوع الفلاني فأذمه، لكن لا [يراه] باباً لمدح أحد إذا كان على خلاف سياقي الحركي! يعني مثلاً إنسان دعا للسنة في مكان كانت السنة فيه قفراً (بلد كان كله زيدية أو بلد كله صوفية...) فدعا للتوحيد، فانتشرت السنة انتشاراً كبيراً حتى اغتاظ منه أهل الأهواء (الذين نحن لا نختلف أنهم أهل الأهواء)، فمثل هذا الأمر يُحسب للشخص، لكن ليس معناه أنه يصير نبياً معصوماً لا أحد ينتقده ولا أحد يقول فيه.

فمن الانتقادات أنهم مثلاً قالوا: «قال: لا يوجد سلطان شرعي اليوم» فالطرف الثاني أيش عملوا؟ جاءوا لهم بكلام الوادعي (وفي هذا السياق أصلاً كلام الألباني) أنه ما من بيعة لإمام الآن وكذا، وقال علي حسن في كتاب له إن الألباني تراجع في آخر حياته عن هذا الكلام (أنه يقول ما من سلطان شرعي اليوم وإلى آخره).

وأيضاً جاءوا بأمر، قالوا: «هذا الرجل يكفّر المُصر» وبعضهم يقول: «يكفر بالكبيرة»: "يكفر بالكبيرة" هذا كذب، [أما] "يكفر المصر" فليس دقيقاً، هو كفّر بصورة معينة بدقة، ولم يكن مصيباً في هذا التكفير، هو قال هكذا -أذكر

لفظه وأنا أحكيه من باب التدين، وأنا هنا والله أقصد إحقاق الحق والذب عنه في قبره، وأنا رددت منذ زمن على هذا الكلام- قال: «الذي يقول: "أنا أعلم أن الربا حرام واللهُ حرّمه، ولكنني سأفعله"» باللفظ، حتى إنني سميته الإصرار اللفظي، قال: «هذا لا شك أنه كافر» يعني الذي يأكل الربا وهو ساكت هذا ليس كافراً عنده، ولو تكرر فهذا ليس كافراً، فلذلك نسبته لتكفير المصر مطلقاً خطأ، لكن نسبته لهذا الأمر [الدقيق] نسبة صحيحة مئة بالمئة.

طيب، هذا الكلام الذي هو قاله صحيح أم خطأ؟ خطأ، وقد رددت وجئت بأثر الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط حين قال: «إني أعلم أن الخمر حرام ولكني سأشربها» والأثر صحيح، رواه سعيد بن منصور في سُننه[(١)].

طيب، أنا هنا أريد أن أقف وقفة: الآن نحن نُنسب للغلو، لكن ألا ترى أنني مرة أقول عن كلام الشيخ هنا: «هذا خطأ»، وعن كلام شيخ آخر في الصلاة لمن يصلي بغير وضوء: «التكفير به مطلقاً خطأ»، و[كذلك] الذي قال عبد النور وكذا، وحتى مثلاً كلام الشيخ ابن باز الذي قال فيه إن الذي يضع المنبه بعد صلاة الفجر فهذا يكفر، وأيضاً التكفير بالجاسوسية وغير ذلك! والعجيب أن اعتراضي على تكفيرات المعاصرين هذه كان بناءً على آثار، فهذا يبين لك الخطأ الذي يقوله بعض الناس في أن كتب الآثار تجعل الإنسان يكفر، هذا ليس صحيحاً؛ [بل] تجعل الإنسان **يكفر تكفيراً صحيحاً** لمقالات كلامية إنما تأتي

(١) سنن سعيد بن منصور -الفرائض إلى الجهاد- (ت. الأعظمي) [٢/٢٣٥] برقم (٢٥٠١).

من أهل الكلام ومن أهل الباطل، ولو تتأمل والله تجد أن كثيراً من المعاصرين زلت أقدامهم في بعض المسائل.

وأنا أرى أن هذه الكلمة التي هو قالها -على خطئها- أراها لا تختلف عما في كتب الحنفية ممن يقولون: من تصدق بالحرام كفر، ومن قال «مسيجد» كفر، ومن فعل صغيرة فقيل له: «تب» فيقول: «أيش عملت حتى أتوب؟» كفر، وغيرها من الألفاظ الموهمة التي هم يعتبرونها استهزاءً وكفّروا بها، وهي في الواقع ربما حتى أكثر من المثال الذي ذكره [الحويني]! واليوم يقال لنا تمذهب بهذا المذهب الذي فيه كل هذا التكفير (فضلاً عن التكفير بعقائد سنية)!

و[منهم من] يقول لك تمذهب بالمذهب الذي يقول: «من أثبت لله الجلوس كفر»! والله وبالله وتالله إن كتب أهل الباطل من أهل الكلام ومن أهل الرأي ومن كذا، وحتى عدد من المعاصرين ممن أخطأ في بعض المسائل—والله وبالله وتالله إن كتب الآثار تبعدك عن هذا التكفير بالباطل! التكفير ليس مذموماً لذاته ولا محموداً لذاته، ولكن هذا تكفير بباطل.

الآن أنتم قلتم إنه أخطأ، صح؟ طيب لو جاء شخص وقال عن آكل الربا إنه إنسان مستقيم، أو إنه إنسان يستحق المحبة، أو أثنى عليه وعظّمه وتحدى وجعل فِسقه كأنه ليس بشيء؛ هذا أيش حكمه؟ نقول: «هذا عنده إرجاء، هذا عنده تساهل..»، دائماً نحن عندنا غلو وجفاء، طيب بعض الناس فعلاً يأتون إلى أناس ينشرون المنكرات وكذا وكذا فيمدحونهم مدحاً عظيماً -وأنتم تعرفون

هذا—يمدحونهم مدحاً عظيماً لا ينبغي!

وأيضاً، بعض الناس قد تجده يعترض على تكفير بعض الأشاعرة، أو تكفير بعض القبورية، ثم هو بعد ذلك لا يحكم عليه بالفسق والابتداع والضلال؛ إما يحكم عليه بتبديع منزوع الدسم وإما لا يحكم عليه بشيء، بل يجعله كعلماء أهل السنة، بل يقول: «هو أفضل من أهل السنة»! هذا أيش حكمه؟ هذا لعلمك هو نفس الطرف الآخر الذي تسامح! وأنا أرى أن التسامح أشد؛ بل أرى أن قول من قال إن ساب الله لا يكفر إذا كان غاضباً أو عنده سوء تربية أشد من مقالة الحويني هذه! وتعرفون (المعني الألباني) أن هذا خطأ كبير جداً في موضوع سب الله ﷻ!

حتى له عبارة أيضاً، قال: «الحاكمية أخص خصائص الألوهية» وإلى آخره، ولقاؤه مع علي حسن الحلبي، وتفسيره للحاكمية بالاتباع وقوله: «لا، أنا أقصد أثر إبراهيم النخعي: "لا تحك رأسك إلا بأثر"[(١)]»، لكن هو كانت له علاقة مثلاً مع عبد الرحمن عبد الخالق وهم لا يحبون عبد الرحمن عبد الخالق، وإلى غير ذلك...

دعنا من كل هذه الأمور، الآن اتركنا من كل هذه القضايا، وإلا فوالله مجموعة من الأسماء مثل عبد الرحمن الوكيل، محمد تقي الدين الهلالي، هرّاس، كذا.. صدرت منهم أمور هذه الأمور لو تصدر من بعض الحركيين اليوم أو من بعض الشباب اليوم؛ فإما يوصف بالحدادية وإما يوصف بكذا وإما يوصف بكذا، وإما يقال

(١) الأثر مروي عن سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ذكره الخطيب البغدادي في "الجامع لأخلاق الراوي" [١/١٤٢] برقم (١٧٤).

عنه ما يقال! يعني حتى مثلاً الهلالي في رده على التبليغ انظر على من أثنى أثناء هذا الرد (أنبه الشباب أن يذهبوا ويقرءُوه)!

حتى [الحويني] للعلم له تزكية، يعني مثلاً الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي له تزكية للحويني، وأيضاً عبد المحسن الزامل أظن، وكثيرون (أسماء كثيرة). وحتى قصة المفتي واللقاء... قصة كبيرة!

لكن الآن دعك من كل هذا.. والله إني رأيت أناساً ترحموا على سلطان عمان قابوس –وقابوس إباضي– ترحموا عليه وأثنوا عليه، و"فخامة السلطان" وكذا وكذا لما مات قريباً، يعني هو ما مات من مدة طويلة، وبعدها تجد والله نفس الشخص لما مات فالح بن نافع الحربي نال منه!

يا إخوان يعني شئنا أم أبينا بعض الناس يعملون بمعيار "وقّف عداد الحسنات وشغل عداد السيئات" لأناس معينين، و"شغل عداد الحسنات ووقف عداد السيئات" لأناس معينين!

وحتى لا يقول لك: «لا، أنا لا أريد موازنات!» الموازنات أنت تعملها شئت أم أبيت، يعني بعضهم كتب كتاباً يدافع عن الألباني في الإيمان، فأثبت عليه مخالفة الإجماع في تارك أعمال الجوارح بالكلية! أثبت عليه ذلك وقال: «هذه زلة، وهذا عالم جليل، وهذه تعتبر له» وهذا كذا وهذا كذا... طيب، هذا رجل أخطأ في مسألة من مسائل الإيمان! –«لكن هذا كفّر»—يا إخوان، علينا أن ننتبه ألا نصير إنسانويين؛ إذا خطأ أدى إلى التكفير نقول: «هذا خطأ عظيم»

وكذا وكذا، وإذا أدى إلى عدم تكفير من يستحق الكفر نقول: «لا، هذا بسيط» وكذا.. لا نصر إنسانويين!

بعضهم كان يقرر: «خلافنا في غيرنا لا يكون خلافاً بيننا»، يقرر هذه القاعدة ويقولها: «يا إخوان، هذا لا يصلح! لا أحد يلزمني بتبديع أحد» والآن تجده يقول: «ليش فلان مدح فلاناً؟ ليش فلان...»! طيب أنت كنت منذ زمن تقول: «لا أحد يلزمني بتبديع أحد» و«خلافنا في غيرنا لا يكون خلافاً بيننا».. شيء غريب!

طيب أنا أيش نظرتي للتيارات السلفية؟ يعني ربما بعض الناس يقول: «طيب، أنتم هؤلاء لا يوافقونكم»—لا لا، أعرف أنهم لا يوافقوننا على كل شيء، أعرف هذا جيداً، ولهذا أنا كثير من انتقاداتي للمعاصرين ذكرتها في رسالتي "تقويم المعاصرين"، وتكلمت في "مراجعات ومناصحات" وفي "دردشة حول مدرسة المنار" عن عموم ما أراه خطأً عند أناس من السلفية، وأنا أعتقد أن السلفية المعاصرة الحق لا يخرج عن مجموعها -ونحن جزء من هذا المجموع- ولكن في أفرادهم وفي تياراتهم توجد أخطاء هنا وهناك من تأثُّرٍ بالمخالفين، أنا هذا الذي أراه، وأرى أنهم لا يُجعلون بمنزلة الصوفية والرافضة والجهمية وغير ذلك (وإن كان بعضهم ربما يكون أحياناً أخطر على الدعوة من بعض الصوفية والقبورية وكذا بشدة ذبه عنهم)، ولا أجعل إنساناً معظم مادته دعوة للعقيدة وحرب على أهل الباطل وكذا—لا أقارنه بإنسان معظم مادته دفاع عن أهل الأهواء وذبٌّ عنهم إلى درجة

أنه يقول لك: «في النهاية، نحن وهم شيء واحد أو يد واحدة، أو هم خير من السني» أو هم كذا أو هم كذا.. لا!

[...] وهناك قضايا أخرى معروفة وكثيرة مثل قضية العذر بالجهل وكذا، أنا شرحت كيف هذه القضايا صارت هي أكبر المسائل، ولماذا هي الشَّرَك الذي يعثر به كثير من الشباب في بدايات طلبهم للعلم.. القصة وما فيها نظريات وُضعت وفَرضت على الشباب مجموعة من الأحوال بناءً على نماذج في الذهن.

لكني أنا أود أن أقول لبعض الناس [الذي] يثني ويقول: «فلان المحدث وفلان كذا، وفلان...» وحتى بعضهم من قبل كان يثني على ابن باز—طيب يا جماعة الخير، أنتم ترون أن هذا مشروعه الدعوة، يعني حين تمدحونه تمدحونه بالدعوة، تمدحونه بالدروس، ومع أنه لم يُنه كثيراً من الكتب لكن فعلاً له أثر جميل، وتمدحونه بالدعوة وببيان الحق، وإذا مدحتم تقولون: «هذا الرجل بسببه كثير من تاركي الصلاة صاروا يصلون، وكثير من الناس دخلوا في العلم، كثير كذا...»؛ فلِمَ استقلال العلم الآن؟ لماذا بعضهم يقول: «أيش فائدة العلم وأيش فائدة كذا والمسلمون يذبّحون!»؟

يعني كثير ممن أثنى عليه وعظمه وقال وقال—للعلم هو كان أيام ما كان المسلمون يُذبحون يطلع ويخطب ويتكلم، حتى إنه مرة عمل سلسلة طويلة عن قصة موسى من الخضر، ويريد أن يثبت أيش؟ موت الخضر، فأرسل له رجل ورقة، وقال له إن الناس الغربيين الآن يفعلون، والناس كذا، والاقتصاد والسياسة وكذا،

وأنتم تبحثون في موت الخضر! فرد عليه، قال له: «يقولون أول عقدة تُحل من عقدة الزندقة اعتقاد موت الخضر، وهذا عمل...» فهو نفسه كان يعاني من هذا الطرح!

بعض الناس يبرزون له كلامه في قضية المرأة –وفعلاً هو من أقوى الدعاة في موضوع المرأة– وبعضهم يبرز كلامه في الرافضة ويراه منقبة عظيمة له، وبعضهم يقول: «والله هو كان يقول عن القرضاوي كذا، ولما ذهب إلى قطر غير [كلامه]» وكذا وكذا... الآن ليس هذا بحثنا لأننا في النهاية نحن سنتعامل مع تراث، ومع شريط ومع كتاب.

وأصلاً [ظاهرة] اختزال الدعاة—يعني مرات يأتيك بعضهم يريد أن يؤبن شخصاً، وهذه لاحظتها لما توفي الشيخ بكر أبو زيد؛ بكر أبو زيد كان عنده كتاب "الرد على المخالف" وهذا تحتفي به فئة من الناس، و"هجر المبتدع" [وهذا تحتفي به] فئة من الناس، وردوده على عبد الفتاح أبو غدة كان يحتفي بها بعض الناس، وله كتب ثانية مثل خطابه للدكتور ربيع في موضوع سيد قطب –وهو ليس كتاباً– الذي رد عليه المدخلي في كتابه "الحد الفاصل"، وله كتابه "تصنيف الناس بين الظن واليقين" وهذا كتاب الله المستعان، وله "حلية طالب العلم" وهذا المشهور عند الجميع؛ رأيت مجموعة من الناس لما جاءُوا يؤبنونه ما كانوا يؤبنون بكراً أبا زيد؛ كانوا يؤبنون ما يريدونه من بكر أبي زيد، فكانوا يتكلمون عن "حلية طالب العلم" وعن "تصنيف الناس بين الظن واليقين"، وما كانوا يذكرون بقية تراثه مثل رسالة "تحريف النصوص" (وهي من أجمل ما كتب)، مثل رسالة "الرد على المخالف من

أصول الإسلام"، مثل كذا، مثل كذا...! بل حتى "معجم المناهي اللفظية" الذي هو كتابه الذي تعب فيه ما يذكرونه!

وهذه أيضاً مسألة مهمة جداً تكلمت عنها حتى في "مراجعات ومناصحات"؛ أن بعض الدعاة له جمهور وله ناس وله قنوات وله كذا، وجزء من تراثه مخفي! مثلاً ردود [الشيخ] على الأشاعرة لا أحد يأتي بها، ومع أنه هو له مثلاً رد على السقاف لا أحد يأتي به!

طبعاً أنا لما قلت إني أريد الدفاع عن كذا أقصد في هذا السياق، وإلا فعموماً أنا أود أن أنبه على قضايا عامة تتعلق بالوفيات وما زلت مصراً عليها.

أول شيء: إلى اليوم التيارات السلفية شديد بعضها على بعض شدة عظيمة جداً، وأنا أقول لك إن بعض السلفيين ربما خرج إلى حد الابتداع (بل ربما كثير منهم)، لكن في النهاية يبقى أحسن من الصوفي وأحسن من كذا وأحسن من كذا، وهذا ما يعني أن نتعاطى معه كما نتعاطى—بل بين التيارات السلفية تجد في الملف الفلاني هذا أقرب إلى السنة، وبين الشخصيات تجد هذه الشخصية أعظم نفعاً وكذا، فضلاً عن موضوع السلوك والتأثير والأثر وغير ذلك حين يتعاطون مع الأشاعرة والصوفية وغير ذلك.. كثير منهم لا يحرر في نقل مقالات خصمه، كثير منهم يستفيد من خصومه ولا يقول وإن استفاد من شيوخه قال، كثير منهم يحتمل لشيوخه أموراً ولا يحتمل للآخرين نظائرها ([أما] نقد الخطأ بما هو نقد الخطأ ما فيه أي مشكلة).

كثير من الناس دينه مختزل في قضايا معينة، ربما كثير منهم لا يعرف، يؤبن فيقول: «المحدث، العلامة» وكذا وهو ربما لا يهتم للحديث ولا يهتم لشيء، هو يهتم مثلاً بأنه «انظروا، هذا آخر حياته مدح حماس وسب المداخلة» وخلاص، انتهى الموضوع، هذا "مية مية"!

وهذا أنا وجدته حتى في عدد من الشخصيات العلمية، ولنقل مثلاً ابن جبرين؛ ابن جبرين كان عنده تراث علمي ضخم، وكان عنده مواقف معينة، فبعدما توفي كان أكثر ما يتردد هذه المواقف المعينة، وإرثه العلمي -سبحان الله!- ضعف ذكره جداً، علماً أنه كان شخصية علمية ثقيلة في أيامنا.. ثقيلة ثقيلة جداً! اسمه له رنة، وبعدها... سبحان الله!

فالموضوع هذا أيضاً يُنتبه له.

وأيضاً، تأثير العاطفة وتأثير كذا، حتى إن بعضهم يكتب: «قال الإمام ابن عاشور» وكذا! وبعضهم عنده صورة نمطية، يقول لك: «أنت أصلاً تكفر الأزهر!» هو باختصار ما من شيء اسمه "يكفر الأزهر"؛ مناهج الأزهر نفسها مناهج منحرفة عندنا كلنا نحن السلفيين، شخصيات الأزهر كل شخصية لها حكمها، والمشترك بيننا نحن السلفيين -دع عنك المتميعين الذي انتسبوا للسلفية- أنهم مبتدعة! الأشعري الصوفي الذي في الأزهري مبتدع! وفيه شخص آخر لا هو أشعري ولا هو صوفي ولا هو كذا... بعض الناس يغلب عليه المجاملة في التعاطي مع المخالفين هذا بحث آخر.

أنا حتى شخصية مثل بشار عواد معروف ما كنت أحب الاحتفاء بها؛ الرجل واقفي، والرجل عنده مشاكل كثيرة جداً، ومن يرى تعليقاته على كتبه—ليس فقط في السلوك وفي السمت الظاهر.. لا! عنده مشاكل متعلقة باعتقاده، مشاكل قوية جداً متعلقة باعتقاده، ومن نظر في كتبه عرف ذلك!

هذا هو التلخيص الذي أحببت أن أتحدث فيه؛ لأنني سُئلت كذا مرة عن مسألة الإصرار وكذا وكذا فأردت أن أشرح منذ زمان وأفيد إفادة علمية.

وحتى الحويني لما ذهب عند طلبة الألباني وجلس عندهم؛ قال: «أنا ما من أحد يحب الألباني أكثر مني» وهو كان يعظهم في أمر التعصب له، فقال: «ومع ذلك كتبت له بكل أخطائه ومفاريده وشذوذاته التي انفردت بها» قال كلمة نحو هذه: «مفاريده»، وهذه الكلمة أغضبت جداً المتعصبين للألباني -مع أن الألباني فعلاً عنده مفاريد- أغضبتهم جداً، أغضبتهم جداً! وكتبوا في منتدياتهم، و«الحويني يطعن في الألباني في سياق كذا»... وأنا عندي أن هذا ليس طعناً؛ ليس طعناً بمعنى الإسقاط، لا، هو يقول لك الرجل عنده اختيارات انفرد بها وهي خطأ، وهو نفسه يراه أنه مجتهد واجتهد وأهل للاجتهاد... هو نفسه هذا الذي يتدين به، لكن يرى أن هذا خطأ ينبغي أن يُبين، يعني هو له سلسلة كبيرة اسمها "تنبيه الهاجد إلى ما وقع من نظر في كتب الأماجد"، يأتي مثلاً إلى قول البزار: الحديث الفلاني لم يروه عن فلان إلا فلان، فيقول: «قلتُ -رضي الله عنك-: بل تابعه فلان، قلتُ -رضي الله عنك-: بل تابعه فلان..»، حتى له "سمط اللآلي في الرد على الغزالي" فيقول:

«قلت –رضي الله عنك– بل كذا»، حتى له كتاب ما اكتمل (مات وما أكمله) الذي هو "الثمر الداني في الذب عن الألباني" وكذا، ومع ذلك هو نبه أنه [له أخطاء].

وهذا النَّفَس هو الآن الخطوة رقم واحد، الخطوة رقم واحد في شغلنا كله أنك تفهم أنه قد يجتمع في الإنسان موجب مدح وموجب ذم، وأن الإنسان هو نفسه قد يبغي على قوم فالقوم يبغون عليه، وقد يكون هناك خلافيات يكون فيها كلا الطرفين عنده أخطاء وعنده صواب.

أنا حتى في سلسة "مراجعة ومناصحات" قلت كلمة وكنت أشير إلى الحويني، كنت أقول: قد يكون عندك إحكام علمي أكثر منه، وتنقض عليه وتأتي بأخطاء له، وتمسح به الأرض بالأخطاء التي تجدها له؛ لأنك تكون مشتغلاً بمجموعة من أبواب العلم التي هو اشتغاله بها ضعيف، لكن أنك فقط تقضي زمانك بالهجوم على هذا الشخص فيما هو يشغل زمانه بمهنة الأنبياء وهي: تعليم الناس، وتعليمهم مبادئ العلم، والصبر عليهم، وقضاء حوائجهم وكذا وكذا، في الوقت الذي أنت تريح نفسك بالعزلة، ترتاح جالساً ومعتزلاً وتقول: «العزلة والعزلة في هذا الزمان»، وأما هو فيذهب إلى الناس ويصبر على أذاهم وكذا، لدرجة أنها تصير قضية!

مثل قصة أشرف السعد وكذا، ويأتيه واحد عند باب المسجد ويسبه على لحيته وإلى آخره، ويروح يميناً ويروح يساراً، فيؤذى كثيراً! والناس تسأله في كل شيء وتُضجره وكذا، ويأتيه هذا المحتاج وهذا المحتاج، وهذا الكلام قاله لي

مباشرة، قال: «تأتيني امرأة محتاجة فأذهب للتاجر الفلاني أكلمه، أقول له عندي امرأة محتاجة وكذا وكذا، فيا ليت كذا» يقول: «وتريق ماء وجهك لهؤلاء، وقد يعطيك وقد لا يعطيك» ويفعل هذه الأمور، وهذه كلها من السنة؛ فالنبي ﷺ قضى دين جابر[١]، فترى له أثراً وكثير من الناس حتى ممن سيعرفك بعدئذٍ يكون عرفك من طريقه!

فبعدها أنت قد تشعر بالغيرة، قد تشعر بالحسد، قد تشعر بكذا، وتقول: «أنا أعلم منه، أنا أحسن منه، أنا أكثر تحقيقاً للاتباع منه؛ فلِم لَم يقع لي ذلك؟ دعني آت له بأخطاء أكثر وأكثر»—لا! هي القصة لا تحصل هكذا مهما أتيت من أخطاء وكذا وكذا—طبعاً هي المسألة عند الله (قبول عند الله)، وأحياناً الشهرة تكون فتنة للإنسان؛ بل وتكون مضيعة لبعض الناس، وبعض الناس والله لقطات الكمرات هذه تلعب بهم، وبعضهم أصلاً صار شغله احترافياً يشبه شغل "الفشنستات" أصلاً أو شغل كذا، شغل احترافي يحصل هذه الأيام عجيب جداً! والعجيب أنه صار الذي لا يصور يُسب أصلاً، يقال: «هذا مسردب، هذا كذا، هذا كذا...»!

لكن هذا الإنسان تعب، والتعب احتمال الناس واحتمال أسئلتهم واحتمال...، وأحياناً بسبب التعب يقوى علمياً فبعضهم تجد عنده استحضاراً بالفتاوى يعجبك، ليش؟ هي المسألة سئل عنها مئة مرة فخلاص.. خلاص! وبعضهم

(١) البخاري (٢١٢٧).

يصبر وبعضهم كذا، فأناس يصبرون على أذى أناس.. هذا طريق شاق! ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٧٩] الرباني: الذي يربي الناس على صغار العلم قبل كباره!

هذه هي الإشكالية في كثير من المنتسبين للأثر؛ أنه يفرح لأنه فهم بعض المسائل، ثم ماذا يفكر؟ يفكر ويقول: «دعني أوجد مسائل أكثر، وآتي بمسائلَ أكثر أتميز بها أكثر وأكثر»، ثم يحولها إلى دعوة نخبوية ودائماً يريد أن يُشعر نفسه بالتميز، مع أن ذاك الشخص إذا أنعم الله ﷻ عليه بكذا يحمد الله ﷻ ويزداد تواضعاً، ويتقي الله ﷻ، ويبدأ يحاول قدر المستطاع، وما يستحي من تعليم الناس صغار العلم!

حصلت قصة سنة ٢٠٠٠ أو ٢٠٠١ أنه جاءنا هنا أحد الشيوخ الأردنيين، وهو حيٌّ الآن ولكن لا أريد أن أذكر اسمه حتى لا تحصل مشكلة، جاء وجلس فسألوه وقالوا: «أبو إسحاق الحويني أيش أخباره؟» هذا كلام صار له خمسة وعشرون سنة، ربع قرن تقريباً—«أبو إسحاق الحويني أيش أخباره؟» قال: «ذهبنا له أنا والأخ فلان فقلنا له: يا شيخ، وشغلك بالحديث وكذا، فقال لنا أبو إسحاق: أنا أترك الدعوة لمن إذا كنت أجلس دائماً فقط في العلل وحدثنا وأخبرنا وكذا.. أترك الدعوة لمن؟» مع أنه رجع وكتب أموراً وكذا، و"تنبيه الهاجد" خير برهان، فالشاهد.. يقول: «فقال أخونا فلان:» ونحن كنا نراها عبارة مطربة «مصر فيها آلاف الدعاة وقلة من المحدثين، فأبى أبو إسحاق إلا أن يزيد الدعاةُ واحداً وينقص المحدثون واحداً» ونحن كنا نسمع هذه العبارة ونطرب ونقول: «الله! ما أحلاها من عبارة!»، وفي

الواقع اكتشفنا أنه أصلاً كان مخطئاً، ليش؟ لأنه هو ليس داعية [فحسب]؛ هو داعية مع محدث، فيأخذ الناس من جو الدعوة والوعظ إلى جو طلبة العلم، وهذا كان المفقود.. هذا كان المفقود! «ما أحوج أهل السنة إلى قاصٍّ صدوق»[(١)].. هذه الحلقة كانت مفقودة في السياقات الدعوية!

نعم الدعوة في مصر لها عيوب كثيرة، وفي كل مكان، لكن -سبحان الله- في مصر ترى عيوباً كثيرة، وهذا تكلمت عنه في الأسئلة وكذا وكذا، لكن لا يمنعنا هذا من ذكر الخير الموجود، كنا نقول: «الله!» وكذا، ثم -سبحان الله!- هو بعمله الدعوي عمل تسويقاً لشغله في الحديث، فصار الناس يريدون عمله في الحديث ويسألونه وكذا وكذا.. وسبحان الله! هو أتقنُ للصنعة من هذا الشيخ الذي قال هذي الكلمة! والله قلت لكم لما عرفنا الصنعة وتعبنا فيها وكذا؛ وجدناه -سبحان الله!- أتقن للصنعة! وأصلاً من أهم صور إتقان الصنعة العناية بالمتون والعناية بشواهد القرآن وشواهد الحديث والفقه وغير ذلك.

أقول لك: نعم، هذا الرجل **كثير** من المشاهير أعلم منه، أو على الأقل أعلم منه في أبواب كثيرة من أبواب العلم، وكثير منهم ربما إذا أردت أن تبحث له عن خطأ يصعب عليك، وهذا قد تجد عليه ملاحظات في مجموعة من الأمور (يهم وهماً، كذا، كذا).. صح، لكن القصة وما فيها أنه إنسان أتعب نفسه بالنزول إلى الناس ثم رفعِهم إلى مكان في العادة لا يرفعهم إليه أحد، فهذا الذي أثر في كثير من

(١) كلمة الإمام أحمد، يُنظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح [٢/٨٢].

الناس وهذا هو الجانب المفقود.

حتى إن زميل هذا الشيخ الأردني، صديق له قديم -وقد حصلت بينهما مشاكل- دعا أحد إخواننا الدكاترة إلى غداء أو عشاء أو كذا، فأخبرني وقال لي: «دعاني الشيخ فلان وكذا وكذا، ترغب أن توصل إليه رسالة أو كذا؟» فقلت له: «طبعاً من غير ذكر اسمي؛ لأنه قد يتكهرب»، قلت له: «لكن أرجو منك -وأظن هذا التساؤل مطروحاً منك أيضاً- أن تسأله وتقول له: أين أنتم عن المجتمع؟ أنت تعرف المجتمع ويأتيك من كل فئات المجتمع؛ يأتيك رجل من عِلية القوم ويأتيك رجل من أواسط القوم، يأتيك الفقير ويأتيك الغني، يأتيك صاحب الرتبة والشهادة العالية ويأتيك الأمي، يأتيك الرجل وتأتيك المرأة، يأتيك الكبير ويأتيك الصغير، يأتيك البَر (تجد إنساناً ملتزماً وكذا عنده مشاكل) ويأتيك الإنسان الفاجر الداعر الذي أيضاً عنده مشاكل، يأتيك الذكي ويأتيك البليد، يأتيك... يأتيك كل الناس، وفي كثير من الأحيان تحتاج إلى طالب علم إلى جانبك طالب العلم هذا يأتيك بالنصوص الشرعية والأدلة التي تعالج هذه الحالة، فتبحث فلا تجد أو تأتينا تسأل، تقول: يا إخوان، هل من كتاب في الموضوع الفلاني؟ هل من فتوى في الموضوع الفلاني؟ هل من كلمة في الموضوع الفلاني؟ فأنت تسأله وتقول له: يا شيخ، أين أنت عن مجتمعك؟» ومجتمعه بالعكس متعطش «أين أنت عن مجتمعك؟»!

كثير من طلاب العلم أغرقتهم النخبوية، وعند كثير من الناس خصلة أنه يحب أن يشعر بالتميز على الناس، والشعور بالتميز على الناس هذا مشكلة!

فخلاص، دع الناس يحترقون! ليس صحيحاً!

بعضهم يقول: «يا أخي، الذي يريد الحق يلقاه» هذا صحيح إذا جاءك شخص وقال لك: «أنا ألحدت، أنا كذا» [فهذا دعك منه]، لكن كثير من الناس والله مسكين فقد يكون إنساناً فيه خير وفيه كذا، مع أن حتى الذي يقول مرات: «أنا كذا» منهم أناس فيهم خير ويحتاجون أنك تأخذ بيدهم.

وهذا الذي جعلني قبل مدة [لما] نشر أناس رقمي وأرادوا كذا، فقال لي الشباب: «غير رقمك»؛ قلت: لا أغيره.. لا أغيره؛ لأن كثيراً من الناس يحتاجون! بعض الناس يُقلل أدبه وبعض الناس كذا، وبعض الناس أنفجر عليهم وأغلق، لكن بعض الناس حين أساعدهم أنا أشعر بالراحة، طبعاً لست أساعدهم يعني [مادياً] فما عندي شيء، لكن قد يشاء الله أنه يسألك عن موضوع عندك فيه مقال أو عندك فيه بحث، أو تستحضر فيه بحثاً، فالذي أستحضره أضعه وإذا لم أستحضر شيئاً فما عندي إشكال أن أقول له: «ما أدري»، أو مرات أذهب أبحث، ومرات أسأل أحداً متخصصاً عني في الموضوع الفلاني والموضوع العلاني، فأنا نفسي –عبد الله– أستفيد.

وهذه فائدة استفدتها من الشيخ السعدي في فتاويه "الفتاوى السعدية"، [لما] سأله شخص ذكي جداً وقال له: «أيش فائدة السؤال عن المسئُول؟» فقال له السعدي: «والله كثير من الأسئلة التي جاءتنا بسببها تفقهنا في مسائل معينة»! ما كان يخطر على بالك المسألة من الأساس، فلما يسألك عنها إنسان تذهب وتبحث فيها، فتجد

فيها كلاماً لأهل العلم وتستحضر وتجد... فسبحان الله! وأحياناً حديث مشهور مر عليك في مسألة معينة أنت ما تدرك ولا... فهذه هي الفكرة.

وليس معناه -الآن العكس- أني أبقى أنتبه وأظل أعيش مع العامة وكذا وكذا، وأترك الأمور المهمة [من] عقائد وأبحاث علمية وكذا! فلا تستغني عن شخصيتك؛ طالب علم وعندك بحثك وكذا، ولا تستغني عن نفع الناس! ولا يغرنك موضوع التخصص و... لا يغرنك هذا!

يعني -سبحان الله!- كثير من الناس يقولون: ابن تيمية، وتيمي، والتيمية، وابن تيمية... ويريدون أن يدرسوا الفلسفة وكل شيء لأجل أقدام ابن تيمية، طيب ابن تيمية كان فقيهاً! وابن تيمية كان يجلس لحوائج الناس! فلماذا لا [يقلدونه] في هذا الموضوع؟! وكان الناس يستفتونه في كل صغير وكبير، حتى قالوا إن ابن تيمية كان يأتيه مال كثير ويفرقه على الناس -هذه مسألة معروفة عن ابن تيمية- كان يأتيه مال كثير! مال كثير إعانة من أناس يحتسبون في الشيخ! الشيخ للعلم كان البيت الذي هو يسكن فيه وقْف، أعطاه إياه شخصٌ وقفاً! وانظر كيف أن هذا الرجل يأتيه الآن أجر كل يوم -لك أنت تخيل- هذا الرجل الذي استثمر يظل يأتيه أجر كل يوم!

حتى من الأمور التي سمعتها من الحويني [أنه] كان يتكلم ويقول: «فرغوا طلبة العلم» وكذا وكذا، فما [ينبغي]-وأنا أتحدث عن الرجل الذي نُنسب له دائماً والذي هو محمود الحداد- ما [ينبغي] أن أكون منعزلاً وأكون—ربما [تكون تلك]

طبيعتي وعادتي، ما من مشكلة، لكن الآن عندنا مواقع التواصل وغيرها! وهو له -حتى لا أظلمه-له موادُّ في قضايا معينة، لكن هذه العزلة وهذا الابتعاد وهذا كذا جعل هذه المواد... يعني اليوم المواد تحتاج إلى تسويق.

طبعاً قصة أن بعض الناس يقول: «رأيته يقظة» والله أعلم به، يقول: «أقسم بالله رأيته يقظة»—الرجل قضى حياته يحارب الدروشة وأنت الآن [تمارس الدروشة] على رجل كان يحارب الدروشة؟! هو كان ينتقد طبقات الشعراني ويسب الشعراني وكذا تأثراً بعبد الرحمن عبد الخالق، وكلاهما يسبان الشعراني سباً شديداً، بل عبد الرحمن الخالق ينعته بالزندقة، ومرة قلت للإخوة عن كلام بعضهم: «هذه حدادية -على قول بعضهم- من سبقهم إلى الكلام عن الشعراني بهذه الطريقة؟!» وإن كان كلامهم والله حقاً من أوله إلى آخره، كله حق!

فالدروشة، ورأيته، وقصة المنامات وكذا، يعني هو لا بأس بها لكن بعض الأمور تحتاج أن الناس لا تُفْرط فيها، والناس من أهل الحديث [ينبغي] أن يكون عندهم انضباط!

حتى إنني أذكر أن الحويني في وفاة أحد الكبار (إما ابن عثيمين أو ابن باز) قال: «ما استطعت أن أخطب!» هكذا قال «ما استطعت أن أخطب!» والله ما زلت [أتذكر مع أن] المعلومة قديمة، يقول: «والله ما استطعت أن أخطب! والله انعقد لساني ولم أستطع أن أخطب!» أو [في وفاة] الألباني أظن، قال: «قالوا لي: كيف وكذا..! قلت: والله ما أستطيع»، بل أحياناً يكون هذا الشعور أصدق

بكثير—طبعاً لا شك أن بعض الناس -والله أعلم بالنيات- هي "ترند"، فالله المستعان! وبعض الناس -وأظن أن هؤلاء هم الغالبية الساحقة- لا شك أن عنده عاطفة.

وبعض الناس -حتى ممن يتكلمون فيه- عنده نية سليمة؛ يرى نفسه أنه يحذر من إنسان عنده انحرافات—بعض الناس يقول: «كيف تقول عنده نية سليمة؟!» يا جماعة الخير، أنتم معطل الصفات تقولون: «أراد الخير»! نحن الخوارج لا نتكلم عن إخلاصهم وننزل عليهم الآية: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤] فما بالك بمن هم دونهم، فانتبه.. فبعض الناس كان هكذا.

ولاحظ أن كثيراً ممن يمدحونه هم أنفسهم يقولون: «فلان ما إجازاته؟ فلان...»—أين إجازات هذا الشيخ؟ للعلم هو ما عنده إجازات كثيرة! «من شيوخه؟» للعلم هو ما عنده شيوخ درس عندهم الفقه من أوله إلى آخره، حضر عند المطيع وحضر... ومع ذلك—«فلان من كذا، فلان ماذا يعرف من علوم الآلة ومن العلم الفلاني والعلم الفلاني...؟»!

كثير من الطلاب الذين جاءوا بعدهم ربما عنده اطلاع على الكتب أكثر، وعنده اطلاع على مباحث علمية أكثر وأدق، حتى في مسائل الاعتقاد تجده ربما أدرك قفزات هؤلاء الشيوخ ما أدركوها، لكن هذا:

١) لا ينفي فضلهم لأنهم هم الذين بدءُوا القصة؛

٢) ولا ينفي أمراً آخر: أنه لا بأس أن يصوَّب، ما من مشكلة!

٣) ولا ينفي أمراً ثالثاً: أن مجرد قوتك العلمية لا تغنيك عن سياسة العلم!

سياسة العلم يعني أيش؟ يعني أن تعرف ماذا تقول، ومتى تقول، وكيف تقول، وما الذي تقدمه للناس، يعني لا يصلح أن آتي لمعلومة للعوام ثم بعد ذلك أصيغها صياغة لخواص طلاب العلم، أو أجيء لمبحث علمي معين دقيق وأعطي عبارات معجمة وأمشي، أو عبارات مشكلة وأمشي، أو آتي بنقل فقط وأمشي والناس لا يعرفون النقل الذي جئت به أنا معه أم ضده... لا يصلح مثلاً وأنا أرى الدنيا يملؤها التميع أن أوجه جهدي إلى بعض العلماء السلفيين فأكتفي بنقد شدته في الموضوع الفلاني وكذا.. هذه ليست سياسة العلم!

وأيضاً العكس بالعكس: لا يصلح مثلاً أن أرى [تفشي] الغلو [فأفعل العكس].. هكذا، العلم سياسة، سفيان يقول: إذا ذهبت إلى الشام فحدث بفضائل علي، وإذا ذهبت إلى الكوفة فحدث بفضائل عثمان[(١)]، فالعلم له سياسة، العلم له سياسة! «إنك تقدم على قوم أهل كتاب»[(٢)]، عمر لما أراد أن يتحدث في البيعة، أيش قال له عبد الرحمن بن عوف؟ قال له: ليس في الموسم تتحدث في هذا، عندما تأتي المدينة تكلم؛ ففي الموسم الناس لا يستوعبون[(٣)].. العلم له سياسة!

يقول قائل: «سياسة العلم وأنتم تكفرون وتبدعون؟!»—أصلاً من سياسة

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي [١١٨/٢] برقم (١٣٥٥).

(٢) البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

(٣) مصنف عبد الرزاق (ط. التأصيل الثانية) [٩١/٦] برقم (١٠٦٢٠).

العلم أن نبين للناس أن في الدين تكفيراً وتبديعاً؛ لأن بعض الناس يظنون التكفير والتبديع مثل السباب والشتام والقذف، لا أنه أحكام علمية منضبطة! يعتقدون أنها قصة رغبوية، يعني أنا بهواي أقول فلان مبتدع وقد أعفيه ببساطة، كأنها مخالفة مرورية! يعني: «سامحني يا فلان» فلا بأس أن أسامحه أنا من نفسي! أو أنه من باب الافتراء وكذا وكذا، أو أنه قلة ورع، وليس الأمر كذلك؛ فالورع السلف أولى منا به، ومن زعم أنه أورع من السلف فهذا إنسان قليل الورع.. هذا إنسان معجب بنفسه!

وهذه الأبحاث أنا شرحت مراراً وتكراراً ما الذي اضطرنا إلى الحديث عنها، ففي مرات لا يسعك السكوت، فالله المستعان.

أنا أعلم جيداً أن كثيراً من الناس سيأخذ كلامي هذا ويحوّره، وسيقول إنه قال كذا وقال كذا، وهذا أنا أنبه عليه أيضاً يا إخوة؛ أنه في كثير من الأحيان تكون عندي فكرة مركبة فالناس لا يفهمونها، ليش؟ لأن [بعض] الناس عنده قوالب: المدخلي، الحازمي، العلوان، فلان، فلان، فلان... عنده عدة قوالب في ذهنه، وهذه القوالب حتى هو لا يفهمها بدقة، فإذا سمعك تتكلم بكلام يشبه كلام زيد جمعك معه! وهذه حتى ابن منده اشتكى منها، تعرف؟ ذكرها الشاطبي فقال: «إذا حدثتهم بحديث في فضائل أهل البيت قالوا عني "رافضي"، وإذا حدثتهم بفضائل [أبي بكر وعمر] قالوا عني "ناصبي"».. هي قصة القالب.

فالناس بينهم مواطن تفاضل:

١) [موطن تفاضل في] الإصابة والخطأ؛

٢) وبينهم موطن تفاضل [ثانٍ] وهو: النشر والتأثير؛

٣) وبينهم موطن تفاضل [ثالث] وهو: الصبر على الأذى؛

٤) وبينهم موطن تفاضل رابع: سياسة نشر العلم؛

٥) وبينهم موطن تفاضل خامس: الثبات؛

٦) وبينهم موطن تفاضل سادس: الضرر، مدى التضرر في الحق (طبعاً بقصد وبغير قصد)؛

٧) وموطن تفاضل سابع: الإنصاف، ما محله من الإنصاف (بعض الناس -مع الأسف- ربوا الناس على الفجور!)...

فبينهم مواطن تفاضل كثيرة جداً في ما يتعلق بالناس المتقاربين عقدياً! لا شك أن السني غير المبتدع، ما فيه نقاش، أعلم أنه مثل قصة الفاسق والعدل، فالحكم النهائي [على الأشخاص] صعب، لكن مواطن التفاضل هذه هي التي تجعلك مثلاً تقول: «فلان هذا كيت وكيت، وفلان هذا فيه الخير، وفلان هذا -لا- فلان هذا كيت، وفلان هذا كذا...».

ولا حول ولا قوة إلا بالله.